

سورة الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة السورة

روى الأئمة عن جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب. متفق عليه (١).

﴿ وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ فِي رَقٍ مَّنشُورٍ ۝ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَواقعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ﴾ الطور اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى؛ أقسم الله به تشريفا له وتكريما وتذكيرا لما فيه من الآيات، وهو أحد جبال الجنة. وروى إسماعيل بن إسحاق قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أربعة أجبل من جبال الجنة وأربعة أنهار من أنهار الجنة، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة » قيل: فما الأجل؟ قال: « جبل أحد يحسنا ونحبه، والطور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة، والجودي جبل من جبال الجنة » (٢) وذكر الحديث، وقد استوفيناه في كتاب «التذكرة». قال مجاهد: الطور هو بالسريانية الجبل والمراد به طور سينا (٣). وقاله السدي. وقال مقاتل بن حيان: هما طوران يقال لأحدهما: طور سينا، والآخر طور زيتا؛ لأنهما ينتان التين والزيتون (٤). وقيل: هو جبل بمدين واسمه زبير. قال الجوهري: والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام.

قلت: ومدين بالأرض المقدسة وهي قرية شعيب عليه السلام. وقيل: إن الطور كل جبل أنبت، وما لا ينبت فليس بطور؛ قاله ابن عباس. وقد مضى في «البقرة» مستوفى (٥).

قوله تعالى: ﴿ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴾ أي مكتوب؛ يعني القرآن يقرؤه المؤمنون من المصحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقرآنٌ كريمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴾ [الواقعة: ٧٨]. وقيل: يعني سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وكان كل كتاب في رق ينشره أهله لقراءته. وقال الكلبي: هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى يسمع صرير القلم. وقال الفراء: هو صحائف الأعمال؛ فمن

(١) متفق عليه: البخاري (٧٦٥) في الأذان، ومسلم (٤٦٣/ ١٧٤) في الصلاة.

(٢) موضوع: ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٤٨)، وابن عدي في الكامل (٦/ ٥٩)، وعزه السيوطي في الدر (١٤٣/ ٦) للطبراني في الكبير، وابن مردويه، وعلته: كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني.

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٧).

(٤) مرسل: ومقاتل هذا متهم، وانظر: النكت والعيون للمواردي (٤/ ١٧٧).

(٥) عند الآية (٦٣).

أخذ كتابه بيمينه، ومن أخذ كتابه بشماله؛ نظيره: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]. وقيل: إنه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون. وقيل: المراد ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين؛ بيانه: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قلت: وفي هذا القول تجوز؛ لأنه عبر بالقلوب عن الرق. قال المبرد: الرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه، والمنشور المسوط. وكذا قال الجوهري في الصحاح، قال: والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق. ومنه قوله تعالى: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ والرق أيضا العظيم من السلاحف. قال أبو عبيدة: وجمعه رقوق. والمعنى المراد ما قاله الفراء؛ والله أعلم. وكل صحيفة فهي رق لرقه حواشيها؛ ومنه قول المتلمس:

فكأنما هي من تَقَادُمِ عَهْدِهَا رَقٌّ أَتِيحُ كِتَابُهَا مَسْطُورٌ

وأما الرق بالكسر فهو الملك؛ يقال: عبد مرقوق. وحكى الماوردي عن ابن عباس: أن الرق بالفتح ما بين المشرق والمغرب (١).

قوله تعالى: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال علي وابن عباس وغيرهما: هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه (٢). قال علي رضي الله عنه: هو بيت في السماء السادسة. وقيل: في السماء الرابعة؛ روى أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أوتي بي إلى السماء الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فإذا هو حيال الكعبة لو خَرَّ خَرَّ عَلَيْهَا، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه» (٣) ذكره الماوردي. وحكى القشيري عن ابن عباس أنه في السماء الدنيا. وقال أبو بكر الأنباري: سأل ابن الكواء عليا رضي الله عنه قال: فما البيت المعمور؟ قال: بيت فوق سبع سموات تحت العرش يقال له: الضُّرَّاح (٤). وكذا في «الصحاح»: والضُّرَّاح بالضم بيت في السماء وهو البيت المعمور، عن ابن عباس. وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة. وقال المهدي عنه: حذاء العرش. والذي في «صحيح مسلم» عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في حديث الإسراء: «ثم رفع إلي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم» (٥) وذكر الحديث. وفي حديث ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق» (٦) الحديث؛ وفيه: «ثم عرج بنا إلى السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام

(١) غريب: الماوردي في النكت والعيون (٤/ ١٧٧).

(٢) ضعيف إلى علي: فيه خالد بن عرعة وهو مجهول، وروي بإسناد آخر حسن إليه، وكلاهما عند الطبري (١٨/٢٧).

وأثر ابن عباس ضعيف: الطبري (١٨/٢٧) في تفسيره من طريق العوفيين، وذكره الهيثمي (٧/ ١١٤) في المجمع مرفوعاً وعزاه للطبراني وفيه بشر أبو حذيفة: متروك.

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٧) في بدء الخلق، ومسلم (١٦٤) في الإيمان.

(٤) حسن: الطبري (١٨/٢٧) في تفسيره، من طريق عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث.

(٥، ٦) متفق عليه: وقد سبق.

فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه». وعن ابن عباس أيضاً قال: لله في السموات والأرضين خمسة عشر بيتاً، سبعة في السموات، وسبعة في الأرضين والكعبة، وكلها مقابلة للكعبة. وقال الحسن: البيت المعمور هو الكعبة، البيت الحرام الذي هو معمور من الناس، يعمره الله كل سنة بستمائة ألف، فإن عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة، وهو أول بيت وضعه الله للعبادة في الأرض. وقال الربيع بن أنس: إن البيت المعمور كان في الأرض موضع الكعبة في زمان آدم عليه السلام، فلما كان زمان نوح عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا، فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور، قال: فبأمر الله جل وعز لإبراهيم مكان البيت حيث كان؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَالسَّقْفَ الْمَرْفُوعَ﴾ يعني السماء سماها سقفاً؛ لأنها للأرض كالسقف للبيت؛ بيانه ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢]. وقال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة^(١). ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾ قال مجاهد: الموقد^(٢)؛ وقد جاء في الخبر: «إن البحر يسجر يوم القيامة فيكون ناراً»^(٣). وقال قتادة: المملوء^(٤).

وأنشد النحويون للنمر بن تَوَلَّب:

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ السَّاسِمَا

يريد وعلاً يطالع عينا مسجورة مملوءة. فيجوز أن يكون المملوء ناراً فيكون كالقول المتقدم.

وكذا قال الضحاک وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والأخفش بأنه الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور^(٥).

ومنه قيل للمسعر: مسجر؛ ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] أي أوقدت؛ سجرت التنور أسجره سجراً أي أحمته. وقال سعيد بن المسيب: قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود: أين جهنم؟ قال: البحر. قال: ما أراك إلا صادقا، وتلا: ﴿وَالْبَحْرَ الْمَسْجُورَ﴾^(٦). «وإذا البحار سُجِّرَتْ» [التكوير: ٦] مخففة. وقال عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طبق

(١) هذا غريب منه: والأصح أنها أسماء للعرش، والله أعلم، وقد روي عن الربيع بن أنس كما عند ابن كثير (٧/ ٣٢٩) في تفسيره.

(٢) صحيح إلى مجاهد: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢١).

(٣) ضعيف: وقد سبق، وسيأتي مرة أخرى عند الآية (٦) من سورة التكوير.

(٤) صحيح إلى قتادة: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢١).

(٥) انظر السابق، والبغوي (٧/ ٣٨٦) في تفسير.

(٦) صحيح: الطبري (٢٧/ ٢١) في تفسيره، وعزه السيوطي (٦/ ١٤٥) في الدر لابن أبي حاتم، وأبي الشيخ في العظمة.

جهنم (١). وقال كعب: يسجر البحر غدا فيزداد في نار جهنم؛ فهذا قول، وقال ابن عباس: المسجور الذي ذهب ماؤه (٢).

وقاله أبو العالية. وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس قال: خرجت أمة لتستقي؛ فقالت: إن الحوض مسجور، أي فارغ (٣). قال ابن أبي داود: ليس لذي الرمة حديث إلا هذا. وقيل: المسجور أي المفجور؛ دليله ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] أي تنشفها الأرض فلا يبقى فيها ماء. وقول ثالث قاله علي رضي الله عنه وعكرمة. قال أبو مكين: سألت عكرمة عن البحر المسجور فقال: هو بحر دون العرش. وقال علي: تحت العرش فيه ماء غليظ. ويقال له: بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحا فينبتون في قبورهم (٤). وقال الربيع بن أنس: المسجور المختلط العذب بالملح (٥).

قلت: إليه يرجع معنى ﴿فُجِّرَتْ﴾ في أحد التأويلين؛ أي فجر عذبتها في مالها، والله أعلم. وسيأتي. وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: المسجور المحبوس (٦). ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم؛ أي واقع بالمشركين. قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب ﴿وَالطُّورِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ما له من دافع (٧) فكأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفا من نزول العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب (٧). وقال هشام بن حسان: انطلقت أنا ومالك بن دينار إلى الحسن وعنده رجل يقرأ ﴿وَالطُّورِ﴾ حتى بلغ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ ما له من دافع (٨) فبكى الحسن وبكى أصحابه؛ فجعل مالك يضطرب حتى غشي عليه. ولما ولي بكر القضاء جاء إليه رجلان يختصمان فتوجهت على أحدهما اليمين، فرغب إلى الصلح بينهما، وأنه يعطي خصمه من عنده عوضا من يمينه فأبى إلا اليمين، فأحلفه بأول ﴿وَالطُّورِ﴾ إلى أن قال له قل: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ إن كنت كاذبا؛ فقالها فخرج فكسر من حينه.

﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ١٠ ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ ١١ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَدِّبِينَ﴾ ١٢ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حُوضٍ يَلْعَبُونَ﴾ ١٣ ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ ١٤ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ ١٥ ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ١٦ ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ١٧

(١) ضعيف : وقد سبق .

(٢) ضعيف : الطبري (٢٧/ ٢١) في تفسيره من طريق العوفيين .

(٣) بنحوه عند الشوكاني في فتح القدير (٧/ ٥٣) بدون ذكر القصة، والإسناد ضعيف ، وذكره ابن كثير (٧/ ٣٣٠) في تفسيره وعزاه لابن مردويه .

(٤) لا تصح هذه الأقوال : الطبري (٢٧/ ٢٢) في تفسيره بأسانيد ضعاف ، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٥٤) .

(٥) فتح القدير (٧/ ٥٣) للشوكاني .

(٦) منقطع : بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس . الطبري (٢٧/ ٢١) في تفسيره .

(٧) متفق عليه : وقد سبق .

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ العامل في يوم قوله: ﴿لَوَاقِعٌ﴾ أي يقع العذاب بهم يوم القيامة وهو اليوم الذي تمور فيه السماء. قال أهل اللغة: مار الشيء يمور مورا، أي تحرك وجاء وذهب كما تتكفأ النخلة العيدانة، أي الطويلة، والتمور مثله. وقال الضحاك: يموج بعضها في بعض (١).
مجاهد: تدور دورا (٢). أبو عبيدة والأخفش: تكفأ، وأنشد للأعشى:

كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَوْرُ السَّحَابِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ

وقيل: تحري جريا. ومنه قول جرير:

وَمَا زَالَتْ الْقَتْلَى تَمُورُ دِمَاؤُهَا بِدَجَلَةٍ حَتَّى مَاءُ دَجَلَةٍ أَشْكَلُ

وقال ابن عباس: تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب (٣). وقيل: يدور أهلها فيها ويموج بعضهم في بعض. والمور أيضا الطريق. ومنه قول طرفة:

... فَوْقَ مَوْرٍ مُعْبِدٍ

والمور: الموج. وناقاة مَوَّارة اليد أي سريعة. والبعير يمور عضداه إذا ترددوا في عرض جنبه، قال

الشاعر:

عَلَى ظَهْرِ مَوَّارٍ الْمَلَّاطِ حِصَانٍ

الملاط: الجنب. وقولهم: لا أدري أغار أم مار؛ أي أتى غورا أم دار فرجع إلى نجد. والمور بالضم الغبار بالريح. وقيل: إن السماء ها هنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره؛ قاله ابن بحر. ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ قال مقاتل: تسير عن أماكنها حتى تستوي بالأرض. وقيل: تسير كبير السحاب اليوم في الدنيا؛ بيانه ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]. وقد مضى هذا المعنى في «الكهف» (٤). ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكذِّبِينَ﴾ ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة تقال للهلك، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة. ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أي في تردد في الباطل، وهو خوضهم في أمر محمد بالكذب. وقيل: في خوض في أسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء. وقد مضى في «التوبة».

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾ ﴿يَوْمٌ﴾ بدل من ﴿يَوْمئِذٍ﴾ و﴿يُدْعَوْنَ﴾ معناه يدفعون إلى جهنم بشدة وعنف، يقال: دَعَعْتُهُ أَدَعُهُ دَعَاً أي دفعته، ومنه قوله تعالى: ﴿فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]. وفي التفسير: إن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم في النار دفعا على وجوههم، وزخا في أعناقهم حتى يردوا النار. وقرأ أبو رجاء العطاردي وابن السميعة «يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً» بالتخفيف من الدعاء فإذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ﴾ في الدنيا.

(١) ضعيف: الطبري (٢٧/ ٢٣) في تفسيره من طريقين أحدهما منقطع، وفي الآخر ابن حميد وهو متهم، واختاره الطبري كتفسير لهذه الآية.

(٢) حسن: السابق (٢٧/ ٢٣).

(٣) ذكره البغوي (٧/ ٣٨٧) في تفسيره دون عزو لابن عباس - رضي الله عنهما، وقد رواه الطبري (٢٧/ ٢٣) في تفسيره بسند منقطع، عن علي بن أبي طلحة.

(٤) عند الآية (٤٧).

قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع؛ أي يقال لهم: ﴿أفسح هذا﴾ الذي ترون الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل؛ أي بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون. ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ أي تقول لهم الخزنة ذوقوا حرها بالدخول فيها. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن ف ﴿سَوَاءٌ﴾ خبره محذوف، أي سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٨﴾ فَكَيْفِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هُنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ لما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين أيضا. ﴿فَكَيْفِينَ﴾ أي ذوي فاكهة كثيرة؛ يقال: رجل فاكه أي ذو فاكهة، كما يقال: لابنٌ وتامرٌ؛ أي ذو لبن وتمر؛ قال [الخطيئة]:

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصِّفِّ تَامِرٌ

أي ذو لبن وتمر. وقرأ الحسن وغيره «فكفين» بغير ألف (١) ومعناه معجبين ناعمين في قول ابن عباس وغيره (٢)؛ يقال: فكّه الرجل بالكسر فهو فكّه إذا كان طيب النفس مزاحا. والفكه أيضا الأشر البطر. وقد مضى في «الدخان» (٣) القول في هذا. ﴿بِمَا آتَاهُمْ﴾ أي أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَّاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا﴾ أي يقال لهم ذلك ﴿هُنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الهنيء ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر. قال الزجاج: أي ليهنتكم ما صرتم إليه ﴿هُنِيئًا﴾. وقيل: أي متعتم بنعيم الجنة إمتاعا هنيئا، وقيل: أي كلوا واشربوا هنتم ﴿هُنِيئًا﴾ فهو صفة في موضع المصدر، وقيل: ﴿هُنِيئًا﴾ أي حلالا. وقيل: لا أذى فيه ولا غائلة. وقيل: ﴿هُنِيئًا﴾ أي لا تموتون؛ فإن ما لا يسقى أو لا يبقى الإنسان معه منغص غير هنيء.

قوله تعالى: ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ﴾ ﴿سُرُرٍ﴾ جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره: متكئين على نمارق سرر ﴿مُصْفُوفَةٍ﴾ قال ابن الأعرابي: أي موصولة بعضها إلى بعض حتى تصير صفا. وفي الأخبار أنها تصف في السماء بطول كذا وكذا؛ فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت له؛ فإذا جلس عليها عادت إلى حالها. قال ابن عباس: هي سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت، والسرير ما بين مكة وأيلة. ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم بهن. قال يونس بن حبيب: تقول العرب: زوجته امرأة وتزوجت امرأة؛ وليس من كلام العرب: تزوجت بامرأة. قال: وقول الله عز وجل: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ أي قرناهم بهن؛ من قول الله تعالى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢] أي وقرناهم. وقال الفراء: تزوجت بامرأة لغة في أزد شنوءة. وقد مضى القول في

(١) قراءة عشرية: تقريب النشر (ص ١٦٥).

(٢) انظر: الآية (٥٥) من سورة (يس)، والنكت والعيون للماوردي (٤/ ١٧٩).

(٣) عند الآية (٧٢).

معنى الحور العين (١).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّقَاتِ بِإِذْنِ ذُرِّيَّتِهِمْ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٣﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍ وَالْحَرَمِثَا يَشْتَهُونَ ﴿٤﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لُغُوفٍ فِيهَا وَلَا تَأْيِيبٌ ﴿٥﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكُونٌ ﴿٦﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ قرأ العامة: ﴿ وَاتَّبَعَتْهُمْ ﴾ بوصل الالف وتشديد التاء وفتح العين وإسكان التاء. وقرأ أبو عمرو « واتبعتهم » بقطع الالف (٢) وإسكان التاء والعين ونون؛ اعتبارا بقوله: ﴿ الْحَقِّقَاتِ بِهِمْ ﴾ ليكون الكلام على نسق واحد. فأما قوله: ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ الأولى فقرأها بالجمع ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع إلا أن أبا عمرو كسر التاء على المفعول وضم باقيهم (٣)؛ وقروا الباقيون: ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ على التوحيد وضم التاء وهو المشهور عن نافع. فأما الثانية: فقرأها نافع وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بكسر التاء على الجمع (٤). الباقيون ﴿ ذُرِّيَّتُهُمْ ﴾ على التوحيد وفتح التاء. واختلف في معناه؛ ف قيل عن ابن عباس أربع روايات: الأولى: أنه قال: إن الله ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقرب بهم عنه، وتلا هذه الآية. ورواه مرفوعا أنحاس في «الناسخ والمنسوخ» له (٥) عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله عز وجل ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وإن كان لم يبلغها بعمله لتقربهم عنه» ثم قرأ ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ ﴾ الآية. قال أبو جعفر (٦)؛ فصار الحديث مرفوعا عن النبي ﷺ وكذا يجب أن يكون؛ لأن ابن عباس لا يقول هذا إلا عن رسول الله ﷺ لأنه إخبار عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى أنه أنزلها جل ثناؤه. الزمخشري (٧)؛ فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحور العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم. وعن ابن عباس أيضا أنه قال: إن الله ليلحق بالمؤمن ذريته الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان (٨)؛ قاله المهدي. والذرية تقع على الصغار والكبار، فإن جعلت الذرية ها هنا للصغار كان قوله تعالى: ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ في موضع الحال من المفعولين، وكان التقدير ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ من الآباء. وإن جعلت الذرية للكبار كان قوله: ﴿ بِإِيمَانٍ ﴾ حالا من الفاعلين. القول الثالث (٩) عن ابن عباس: أن

(١) عند الآية (٥٤) من سورة الدخان .

(٢) ٤ - ٢) قراءات سبعة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٦) .

(٥) للناسخ والمنسوخ (ص ٢٢٦) .

(٦) ضعيف: الهيثمي في المجمع (٧ / ١١٤) وعزاه للبخاري، وفيه قيس بن الربيع، وثقة شعبة، والثوري، وفيه ضعف ورواه ابن عدي (٦ / ٢٠٦٦) في الكامل، وهناد في الزهد (١ / ٢٧٠) .

(٧) للكشاف (٤ / ٣٤) .

(٨) صحيح على شرط الشيخين: الطبري (٢٧ / ٢٦) في تفسيره، ورواه الحاكم (٢ / ٥٠٩) في المستدرک، وابن أبي حاتم (١٢ / ٢٥٥) في تفسيره، والبيهقي في سننه الكبرى (١٠ / ٢٦٨)، وانظر: الصحيحة (٢٤٩٠) للألباني

(٩) كذا بنحوه عند ابن الجوزي في زاد المسير (٥ / ٤٣١) لكن من طريق العوفيين وهو ضعيف، وكذا عند الطبري في تفسيره (٢٧ / ٢٧) .

المراد بالذين آمنوا المهاجرون والأنصار والذرية التابعون. وفي رواية عنه: إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله الآباء إلى الأبناء؛ فالآباء داخلون في اسم الذرية؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. وعن ابن عباس أيضا يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال لهم: إنهم لم يدركوا ما أدركت، فيقول: يا رب إني عملت لي ولهم فيؤمر بإلحاقهم به» (١). وقالت خديجة رضي الله عنها: سألت النبي ﷺ عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي: «هما في النار» فلما رأى الكراهية في وجهي قال: «لو رأيت مكانهما لأبغضتهما» قالت: يا رسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» ثم قال: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة والمشركون وأولادهم في النار» ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ (٢) الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي ما نقصنا الأبناء من ثواب أعمالهم لقصر أعمارهم، وما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئا بإلحاق الذريات بهم. والهاء والميم راجعان إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. وقال ابن زيد: المعنى ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ ألحقنا بالذرية أبناءهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل؛ فالهاء والميم على هذا القول للذرية (٣). وقرأ ابن كثير «وما ألتناهم» بكسر اللام (٤). وفتح الباقون. وعن أبي هريرة «ألتناهم» بالمد؛ قال ابن الأعرابي: الته يألته التاء، وآلته يولته إيلاتا، ولاته يليتة ليتها كلها إذا نقصه. وفي الصحاح: ولاته عن وجهه يلوته ولييته أي حسبه عن وجهه وصرفه، وكذلك آلاته عن وجهه فعل وأفعل بمعنى، ويقال أيضا: ما آلاته من عمله شيئا أي ما نقصه مثل آله وقد مضى بـ «الحجرات» (٥).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهينٌ﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم، ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ (٢٨) «إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ» (٦) [المدثر: ٣٩]. وقيل: هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهين بكفرهم.

(١) ضعيف جداً: فيه محمد بن عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف، وبه أعلى الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٤) وعزاه للطبراني في الصغير والكبير.

(٢) ضعيف: عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/ ١٣٤، ١٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٤)، وضعفه الهيثمي (٧/ ٢١٧) وأعله بـ (محمد بن عثمان)، وقال: «لم أعرفه وبقيته رجاله رجال الصحيح»، وفي المجمع (٧/ ٢١٧، ٢١٨) ساقه الهيثمي من طريق أبي يعلى والطبراني، ورجالهما ثقات إلا أن عبد الله ابن الحارث بن نوفل وابن بريدة لم يدركا خديجة، فهو منقطع، وانظر: ظلال الجنة للألباني - رحمه الله (١/ ٩٤، ٩٥).

(٣) رواه عنه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٧).

(٤) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٦).

(٥) عند الآية (١٤).

(٦) سبق تخريجه.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ وَلَحْمٍ مَّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدهم بها غير الذي كان لهم. ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره؛ فإذا فرغ لم يسم كأساً وشاهد التنارع والكأس في اللغة قول الأخطل:

وَشَارِبٌ مُرْبِحٌ بِالْكَاسِ نَادِمْنِي
نَارَعْتَهُ طَيْبَ الرَّاحِ الشُّمُولِ وَقَدْ
لا بالحضور ولا فيها بسوار
صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ وَأَسْمَحَتْ
هَصَرْتُ بَغْضِنِ ذِي شَمَارِيخِ مِيَالِ

وقد مضى هذا في «الصفات» (١). ﴿لَأَلْفَوْا فِيهَا﴾ أي في الكأس أي لا يجري بينهم لغو ﴿ولا تأثيم﴾ ولا ما فيه إثم. والتأثيم تفعيل من الإثم؛ أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿لَأَلْفَوْا فِيهَا﴾ أي في الجنة. قال ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن، وسفاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله ﴿ولا تأثيم﴾ أي ولا كذب؛ قاله ابن عباس (٢). الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضاً (٣). وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو «لَأَلْفَوْا فِيهَا ولا تأثيم» بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في «البقرة» عند قوله تعالى: ﴿وَلَا حِلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ أي بالفواكه والتحف والطعام والشراب؛ ودليله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الجن: ٤٥]. ثم قيل: هم الأطفال من أولادهم الذين سبقوهم، فأقر الله تعالى بهم أعينهم. وقيل: إنهم من أخدمهم الله تعالى إياهم من أولاد غيرهم. وقيل: هم غلمان خلقوا في الجنة. قال الكلبي: لا يكبرون أبداً ﴿كأنهم﴾ في الحسن والبياض ﴿لؤلؤ مكنون﴾ في الصدف، والمكنون المصون. وقوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ [الواقعة: ١٧]. قيل: هم أولاد المشركين وهم خدم أهل الجنة. وليس في الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة، ولكنه أخبر بأنهم على نهاية النعيم. وعن عائشة رضي الله عنها: أن نبي الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدمه فيجيبه ألف كلهم: لبيك لبيك» (٤). وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: «ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، كل غلام على عمل ليس عليه صاحبه» (٥). وعن الحسن أنهم قالوا: يا رسول الله إذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدم؟ فقال: «ما بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين أصفر الكواكب» (٦). قال

(١) عند الآية (٤٥).

(٢) منقطع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري في تفسيره (٢٧/٣٠).

(٣) انظر: فتح القدير للشوكاني (٧/٥٨).

(٤) ضعيف جداً: الديلمي في مسند الفردوس (٨٣١).

(٥) ضعيف جداً: ذكره المصنف في التذكرة (٢/٤٩٣) من رواية الحسن مرسلأ، ورواه الترمذي (٣٣٣٠) في تفسير

القرآن بنحوه، وضعفه الألباني.

(٦) ضعيف جداً: عبد الرزاق مرسلأ في تفسيره (٢٩٢٠)، والطبري (٢٧/٣١) في تفسيره.

الكسائي: كنت الشيء سترته وصنته من الشمس، وأكنته في نفسي أسرته. وقال أبو زيد: كنته وأكنته بمعنى في الكن وفي النفس جميعا؛ تقول: كنت العلم وأكنته فهو مكنون ومكن. وكنت الجارية وأكنتها فهي مكنونة ومكنة.

﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٦٧﴾ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٦٨﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٦٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ قال ابن عباس: إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضا (١). وقيل: في الجنة ﴿ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ أي يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العقاب، ويحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم. وقيل: يقول بعضهم لبعض: بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة؟ ﴿ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ أي قال كل مسؤول منهم لساتله: ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ ﴾ أي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله. ﴿ فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْنَا ﴾ بالجنة والمغفرة. وقيل: بالتوفيق والهداية. ﴿ وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴾ قال الحسن: ﴿ السَّمُومُ ﴾ اسم من أسماء النار وطبقة من طباق جهنم (٢). وقيل: هو النار كما تقول جهنم. وقيل: نار عذاب السموم. والسموم الريح الحارة تؤث؛ يقال منه: سم يومنا فهو مسموم والجمع سمائم. قال أبو عبيدة: السموم بالنهار وقد تكون بالليل، والحرور بالليل وقد تكون بالنهار؛ وقد تستعمل السموم في لفتح البرد وهو في لفتح الحر والشمس أكثر؛ قال الراجز:

اليوم يومٌ باردٌ سَمُومُهُ
مَنْ جَزَعَ اليَوْمَ فلا أَلُومُهُ

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ﴾ أي في الدنيا بأن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا وقيل: ﴿ نَدْعُوهُ ﴾ أي نعبده. ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ وقرأ نافع والكسائي « أنه هو البر الرحيم » بفتح الهمزة؛ أي لأنه. الباقون بالكسر على الابتداء. و﴿ الْبَرُّ ﴾ اللطيف؛ قاله ابن عباس (٣). وعنه أيضا: أنه الصادق فيما وعد (٤). وقاله ابن جريج (٥).

﴿ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٦٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٦٧﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَرِبِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بَهْدًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ رُبَلٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

(١) منقطع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس: الطبري في تفسيره (٢٧/ ٣٢).

(٢) تفسير البغوي (٧/ ٣٩١).

(٣) منقطع: بين علي بن أبي طلحة وابن عباس - رضي الله عنهما: الطبري (٢٧/ ٣٢) في تفسيره، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٢٥٦).

والقراءة متواترة: تقريب النشر (ص ١٧٦).

(٤، ٥) ذكر البغوي (٧/ ٣٩١) في تفسيره أنه قول الضحاك، وأثر ابن جريج عزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر (٦/ ١٤٩)، وهو ضعيف إلى ابن عباس، فرواه عنه أبو صالح كما في زاد المسير (٥/ ٤٣٢) لابن الجوزي.

قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ﴾ أي فذكر يا محمد قومك بالقرآن. ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ يعني برسالة ربك ﴿بِكَأْنٍ﴾ تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي. ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ وهذا رد لقولهم في النبي ﷺ؛ فعقبة بن أبي معيط قال: إنه مجنون، وشيبة بن ربيعة قال: إنه ساحر، وغيرهما قال: كاهن؛ فأكذبهم الله تعالى ورد عليهم^(١). ثم قيل: إن معنى ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ القسم؛ أي وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون. وقيل: ليس قسما، وإنما هو كما تقول: ما أنت بحمد الله بجاهل؛ أي برأك الله من ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ أي بل يقولون: محمد شاعر. قال سيبويه: خوطب العباد بما جرى في كلامهم. قال أبو جعفر النحاس: وهذا كلام حسن إلا أنه غير مبين ولا مشروح؛ يريد سيبويه أن ﴿أَمْ﴾ في كلام العرب لخروج من حديث إلى حديث؛ كما قال:

أَتَهَجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمُّ

فتم الكلام ثم خرج إلى شيء آخر فقال:

أُمِ الْحَبْلُ وَأَهْ بِهَا مُنْجِدِمٌ

فما جاء في كتاب الله تعالى من هذا فمعناه التقرير والتوبيخ والخروج من حديث إلى حديث، والنحويون يمثلونها بـ «بل». ﴿تَرَبِّصْ بِهِ رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ قال قتادة: قال قوم من الكفار: تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان^(٢).

قال الضحاک: هؤلاء بنو عبد الدار نسبوه إلى أنه شاعر؛ أي يهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء، وأن أباه مات شابا فرجما يموت كما مات أبوه. وقال الأخفش: نتربص به إلى رب المتون فحذف حرف الجر، كما تقول: قصدت زيدا وقصدت إلى زيد. والمتون: الموت في قول ابن عباس. قال أبو الغول الطهوي:

هُم مَتَعُوا حِمَى الْوَقَيْبِ بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمُتُونِ

أي المنايا؛ يقول: إن الضرب يجمع بين قوم متفرقي الأمكنة لو أتتهم منايهم في أماكنهم لآتهم متفرقة، فاجتمعوا في موضع واحد فآتهم المنايا مجتمعة. وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس: ﴿رَبِّبَ﴾ في القرآن شكٌ إلا مكانا واحدا في الطور. ﴿رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ يعني حوادث الأمور؛ وقال الشاعر:

تَرَبِّصْ بِهَا رَبِّبَ الْمُتُونِ لَعَلَّهَا تُطَلَّقُ يَوْمًا أَوْ يَمُوتُ حَلِيلُهَا

وقال مجاهد: ﴿رَبِّبَ الْمُتُونِ﴾ حوادث الدهر، والمتون هو الدهر^(٣)؛ قال أبو ذؤيب:

أَمِنْ الْمُتُونِ وَرَبِّبِهِ تَتَوَجَّعُ وَالِدَهُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ

(١) بنحوه عند الطبري (٢٧/٣٣) في تفسيره بدون ذكر الأسماء، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه، ولباب

النقول للسيوطي (ص ٣٠٠).

(٢) صحيح مرسل: الطبري (٢٧/٣٣) في تفسيره.

(٣) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٧/٣٣) في تفسيره.

وقال الأعشى:

أَنَّ رَأَتْ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرَبَهُ رَبِّبَ الْمُنُونِ وَدَهَرَ مُتَبِلٌ حَبِلَ

قال الأصمعي: المنون الليل والنهار؛ وسميا بذلك لأنهما يتقصان الأعمار ويقطعان الآجال. وعنه: أنه قيل للدهر: منون، لأنه يذهب بمنة الحيوان أي قوته وكذلك المنية. أبو عبيدة: قيل للدهر: منون؛ لأنه مضعف، من قولهم: حبل منين أي ضعيف، والنين الغبار الضعيف. قال الفراء: والمنون مؤنثة وتكون واحدا وجمعا. الأصمعي: المنون واحد لا جماعة له. الأحفش: هو جماعة لا واحد له، والمنون يذكر ويؤنث؛ فمن ذكره جعله الدهر أو الموت، ومن أنثه فعلى الحمل على المعنى كأنه أراد المنية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبُّصُوا أَيُّ قَل لَّهُمْ يَا مُحَمَّدُ : تَرَبُّصُوا أَي انتظروا. ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أَي من المنتظرين بكم العذاب؛ فعذبوا يوم بدر بالسيف.

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ أَي عقولهم ﴿بِهَذَا﴾ أَي بالكذب عليك. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أَي أم طغوا بغير عقول. وقيل: ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل؛ أي بل كفروا طغيانا وإن ظهر لهم الحق. وقيل لعمر بن العاص: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله بالعقل؟ فقال: تلك عقول كادها الله؛ أي لم يصحبها بالتوفيق (١). وقيل: ﴿أَحْلَامُهُمْ﴾ أي أذهانهم؛ لأن العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لأمن. وإنما يعطى الكافر الذهن فصار عليه حجة. والذهن يقبل العلم جملة، والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الأمر والنهي. وروي عن النبي ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، ما أعقل فلانا النصراني! فقال: «مه إن الكافر لا عقل له أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾» (٢) [الملك: ١٠]. وفي حديث ابن عمر: فزجره النبي ﷺ، ثم قال: «مه فإن العاقل من يعمل بطاعة الله» (٣) ذكره الترمذي الحكيم أبو عبد الله بإسناده.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أَي افتعله وافتراه، يعني القرآن. والتقول تكلف القول، وإنما يستعمل في الكذب في غالب الأمر. ويقال: قولنتي ما لم أقل! وأقولنتي ما لم أقل؛ أي ادعيت علي. وتقول عليه أي كذب عليه. واقتال عليه تحكم قال [كعب بن سعد الغنوي]:

وَمَنْزِلَةٌ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغِبْطَةٍ وَمَا اقْتَالَ مِنْ حُكْمِ عَلِيِّ طَيْبٍ

فـ ﴿أَمْ﴾ الأولى للإنكار والثانية للإيجاب أي ليس كما يقولون. ﴿بَلْ لَأُؤْمِنُونَ﴾ جحودا واستكبارا ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ أَي بقرآن يشبهه من تلقاء أنفسهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في أن محمدا افتراه. وقرأ الجحدري «فليأتوا بحديث مثله» بالإضافة. والهاء في ﴿مِثْلِهِ﴾ للنبي ﷺ، وأضيف الحديث الذي يراد به القرآن إليه لأنه المبعوث به. والهاء على قراءة الجماعة للقرآن.

(١) سبق في الجزء السابع في سورة الأنعام، وانظر: تفسير الألوسي (١٩/ ٤٥٣)، وتفسير أبي حيان (١٠/ ١٥٢).

(٢، ٣) ضعيف جداً بل موضوع: الهيثمي في زوائد مسند الخارث (٢/ ٨١١) من طريق داود بن المغير وهو وضاع كذاب، وكان يسرق الحديث، وانظر: تنزيه الشريعة لابن عراق (١/ ٢١٦).

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿١٦﴾
 أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ ﴿١٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ
 بِسُلْطَنٍ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَقْرَمٍ مَثْقَلُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ
 عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرَ اللَّهِ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ ﴿ أَمْ ﴾ صلة زائدة والتقدير: أخلقوا من غير شيء. قال ابن عباس: من غير رب خلقهم وقدرهم (١). وقيل: من غير أم ولا أب؛ فهم كالجماذ لا يعقلون ولا تقوم لله عليهم حجة؛ ليسوا كذلك! ليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة؟ قاله ابن عطاء. وقال ابن كيسان: أم خلقوا عبثا وتركوا سدى ﴿ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ﴾ أي لغير شيء ف ﴿ مِنْ ﴾ بمعنى اللام. ﴿ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾ أي يقولون: إنهم خلقوا أنفسهم فهم لا يأتمرون لأمر الله وهم لا يقولون ذلك، وإذا أقروا أن تَمَّ خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الإقرار له بالعبادة دون الأصنام، ومن الإقرار بأنه قادر على البعث. ﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ أي ليس الأمر كذلك فإنهم لم يخلقوا شيئا ﴿ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالحق ﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ ﴾ أم عندهم ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن أمره. وقال ابن عباس: ﴿ خَزَائِنُ رَيْكَ ﴾ المطر والرزق (٢). وقيل: مفاتيح الرحمة. وقال عكرمة: النبوة (٣). أي أفيديهم مفاتيح ربك بالرسالة يضعونها حيث شاؤوا. وضرب المثل بالخزائن؛ لأن الخزانة بيت يهيا لجمع أنواع مختلفة من الذخائر؛ ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الأجناس فلا نهاية لها. ﴿ أَمْ هُمْ الْمُصَيِّرُونَ ﴾ قال ابن عباس: المصلطون الجبارون (٤). وعنه أيضا: المبطلون. وقاله الضحاك (٥). وعن ابن عباس أيضا: أم هم المستولون (٦). عطاء: أم هم أرباب قاهرون (٧). قال عطاء: يقال: تسيطر علي، أي أتخذتني خولا لك، وقاله أبو عبيدة. وفي الصحاح: المسيطر والمصيطر: المسلط على الشيء ليشرف عليه يتعهد أحواله ويكتب عمله، وأصله من السطر؛ لأن الكتاب يسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر. يقال سيطرت علينا. ابن بحر: ﴿ أَمْ هُمْ الْمُصَيِّرُونَ ﴾ أي هم الحفظة؛ مأخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه؛ فصار المسيطر ها هنا حافظا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ. وفيه ثلاث لغات: الصاد وبها قرأت العامة، والسين وهي قراءة ابن محيصن وحמיד ومجاهد وقنبل وهشام وأبي حيوه (٨)، وبإشمام الصاد زايا (٩)، وهي قراءة حمزة كما تقدم في ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ [الفاحة: ٦].

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ٤٣٤)، والبيهقي في تفسيره (٧/ ٣٩٢).

(٢) (٤ - ٤) انظر: البيهقي (٧/ ٣٩٢) في تفسيره، وهو ضعيف إلى ابن عباس لانقطاع بينه وبين علي بن أبي طلحة.

(٥) السابق (٧/ ٣٩٢).

(٦) ضعيف: الطبري (٢٧/ ٣٦) في تفسيره من طريق العوفيين.

(٧) انظر: تفسير البيهقي (٧/ ٣٩٢).

(٨، ٩) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١٧٦).

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ﴾ أي أيدعون أن لهم مرتقى إلى السماء ومصعدا وسببا ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي عليه الأخبار ويصلون به إلى علم الغيب، كما يصل إليه محمد ﷺ بطريق الوحي. ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة بينة أن هذا الذي هم عليه حق. والسلم واحد السالم التي يرتقى عليها. وربما سمي الغرز بذلك؛ قال أبو الرئيس الثعلبي يصف ناقته:

مُطَارَةٌ قَلْبٍ إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رَبُّهَا بِسَلْمٍ غَرَزٍ فِي مَنَاخٍ يُعَاجِلُهُ

وقال زهير:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ يَلْقَهَا وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسَلْمٍ

وقال آخر:

تَجَنَّبْتُ لِي ذَنْبًا وَمَا إِنْ جَنَيْتَهُ لَتَتَّخِذِي عُذْرًا إِلَى الْهَجْرِ سُنْمًا

وقال ابن مقبل في الجمع:

لَا تُحَرِّزُ الْمَرْءَ أَحْجَاءُ الْبِلَادِ وَلَا يُنِنِي لَهُ فِي السَّمَوَاتِ السَّلَالِيمُ

الأحجاء: النواحي مثل الأرجاء واحدها حجا ورجا مقصور. ويروي: أعناء البلاد، والأعناء أيضا: الجوانب والنواحي واحدها عنو بالكسر. وقال ابن الأعرابي: واحدها عنا مقصور. وجاءنا أعناء من الناس واحدهم عنو بالكسر، وهم قوم من قبائل شتى. ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي عليه؛ كقوله تعالى: ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] أي عليه؛ قاله الأخفش.

وقال أبو عبيدة: يستمعون به. وقال الزجاج: أي ألهم كجبريل الذي يأتي النبي ﷺ بالوحي.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبُنُونَ﴾ سفه أحلامهم توبيخا لهم وتقريعا. أي أتضيفون إلى الله البنات مع أنفتكم منهن، ومن كان عقله هكذا فلا يستبعد منه إنكار البعث. ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ أي على تليغ الرسالة. ﴿فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ أي فهم من المغرم الذي تطلبهم به ﴿مُثْقَلُونَ﴾ مجهدون لما كلنتهم به.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي يكتبون للناس ما أرادوه من علم الغيوب. وقيل:

أي أم عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر القيامة والجنة والنار والبعث باطل.

وقال قتادة: لما قالوا نرتبص به ريب المتون قال الله تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ حتى علموا متى

يموت محمدا أو إلى ما يؤول إليه أمره (١). وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه (٢). وقال القتيبي: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ يحكمون والكتاب الحكم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله» (٣) أي بحكم الله.

قوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي مكرًا بك في دار الندوة. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي

(١) صحيح إلى قتادة. الطبري في تفسيره (٢٧/ ٣٦، ٣٧).

(٢) البغوي في تفسيره (٧/ ٣٩٣).

(٣) صحيح: وقد سبق.

الممكور بهم ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] وذلك أنهم قتلوا بيدر. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يخلق ويرزق ويمنع. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ نزه نفسه أن يكون له شريك. قال الخليل: كل ما في سورة «الطور» من ذكر ﴿أَمْ﴾ فكلمة استفهام وليس بعطف.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ قال ذلك جوابا لقولهم: ﴿فَأَسْقُطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، وقوله: ﴿أَوْ تَسْقُطِ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] فأعلم أنه لو فعل ذلك لقالوا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ أي بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سماء؛ وهذا فعل المعاند أو فعل من استولى عليه التقليد، وكان في المشركين القسمان. والكِسْفُ جمع كِسْفَةٍ وهي القطعة من الشيء؛ يقال: أعطني كِسْفَةً من ثوبك، ويقال في جمعها أيضا: كَسَفَ. ويقال: الكَسْفُ والكِسْفَةُ واحد. وقال الأخفش: من قرأ ﴿كِسْفًا﴾ جعله واحدا، ومن قرأ «كِسْفًا» جعله جمعا. وقد تقدم القول في هذا في «الإسراء» (١) وغيرها والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ منسوخ بآية السيف. ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ﴾ ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بفتح الياء قراءة العامة (٢)، وقرأ ابن عامر وعاصم بضمها. قال الفراء: هما لغتان صَعَقَ وَصَعِقَ مثل سَعَدَ وَسُعِدَ. قال قتادة: يوم يموتون. وقيل: هو يوم بدر. وقيل: يوم النضخة الأولى. وقيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم. وقيل: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ بضم الياء من أصعقه الله. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ أي ما كادوا به النبي ﷺ في الدنيا. ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ من الله. و﴿يَوْمٌ﴾ منصوب على البدل من ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي كفروا ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قيل: قبل موتهم. ابن زيد: مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا وذهاب الأموال والأولاد (٣). مجاهد: هو الجوع والجهد سبع سنين (٤). ابن عباس: هو القتل (٥)، وعنه: عذاب القبر (٦). وقاله البراء بن عازب وعلي رضي الله عنهما (٧).

(١) عند الآية (١٨٧) من سورة الإسراء .

(٢) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٧٦) .

(٣) صحيح إليه : الطبري في تفسيره (٣٩ / ٢٧) .

(٤) صحيح إلى مجاهد : السابق (٣٩ / ٢٧)

(٥) ، (٦) ضعيفان : الطبري في تفسيره (٢٧ / ٣٨) ، من طريقين : طريق علي بن أبي طلحة وفيه انقطاع ، وطريق

قتادة ، عن ابن عباس ولم يسمع من ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٧) ضعيف : وفي الإسناد إلى البراء شريك وهو سبيء الحفظ ، وأبو إسحاق وقد اختلط . الطبري (٢٧ / ٣٨) في تفسيره .

﴿ دُونَ ﴾ بمعنى غير. وقيل: عذاباً أخف من عذاب الآخرة. ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن العذاب نازل بهم وقيل: ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما يصيرون إليه.
قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨].
فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ قيل: لقضاء ربك فيما حملك من رسالته. وقيل: لبلائه فيما ابتلاك به من قومك؛ ثم نسخ بآية السيف^(١).
الثانية: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بمراى ومنظر منا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى عَيْنِي ﴾ [طه] أي بحفظي وحراستي^(٢) وقد تقدم.

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُؤْمِ ۖ ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ اختلف في تأويل قوله: ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ فقال عوف بن مالك وابن مسعود وعطاء وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وأبو الأحوص: يسبح الله حين يقوم من مجلسه؛ فيقول: سبحان الله وبحمده، أوسبحانك اللهم وبحمدك؛ فإن كان المجلس خيراً ازدادت ثناءً حسناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة له^(٣)؛ ودليل هذا التأويل ما أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك؛ إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»^(٤) قال: حديث حسن صحيح غريب. وفيه عن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور»^(٥) قال حديث حسن صحيح غريب. وقال محمد بن كعب والضحاك والربيع: المعنى حين تقوم إلى الصلاة^(٦). قال الضحاك يقول: الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً^(٧). قال الكيا الطبري: وهذا فيه بعد؛ فإن قوله: ﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾ لا يدل على التسبيح بعد

(١) لا نسخ فيه ، كما سبق .

(٢) هذا خطأ شنيع ، الأصوب: إثبات الصفة كما جاءت كما قال السلف : (أمرها بلا كيف) .

للمزيد : ارجع إلى شرح العقيدة الواسطية (ص ١٦٩ - ١٧٥) .

(٣) كذا عند الطبري (٢٧ / ٣٩ ، ٤٠) في تفسيره وهما مراسيل كما تراها إلا عن ابن مسعود وعوف بن مالك - رضي الله عنه ، وانظر الموصول في التالي ، وابن الجوزي (٨ / ٦٠) في زاد المسير لابن الجوزي

(٤) حسن صحيح غريب : الترمذي في الدعوات (٣٤٣٣) ، والنسائي في الكبرى (١٠٢٣٠) وصححه الألباني .

(٥) حسن صحيح غريب : أبو داود (١٥١٦) في الصلاة والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤) ، والنسائي في الكبرى

(١٠٢٩٢) وصححه الألباني .

(٦) ضعيف إلى الضحاك : في بعض طرّفه جوير ، وفي الآخر انقطاع ، تفسير الطبري (٢٧ / ٤٠) .

(٧) مرسل ضعيف جداً : عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٢٦) وفي الطريق جوير وهو تالف .

التكبير، فإن التكبير هو الذي يكون بعد القيام، والتسبيح يكون وراء ذلك، فدل على أن المراد فيه حين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه. وقال أبو الجوزاء وحسان بن عطية: المعنى حين تقوم من منامك^(١). قال حسان: ليكون مفتحا لعمله بذكر الله. وقال الكلبي: واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهي صلاة الفجر. وفي هذا روايات مختلفات صحاح؛ منها حديث عبادة عن النبي ﷺ: «من تعار في الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، والحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»^(٢) أخرجه البخاري^(٣). تعار الرجل من الليل: إذا هب من نومه مع صوت؛ ومنه عار الظليم يعار عواراً وهو صوته؛ وبعضهم يقول: عرّ الظلّم يعرّ عرّاراً، كما قالوا: زمر النعام يزمر زماراً. وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت، وبك آمنت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وأمررت وأعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا إله غيرك» متفق عليه^(٤). وعن ابن عباس أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا استيقظ من الليل مسح النوم من وجهه؛ ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة «أل عمران»^(٥). وقال زيد بن أسلم: المعنى حين تقوم من نوم القائلة لصلاة الظهر. قال ابن العربي: أما نوم القائلة فليس فيه أثر وهو ملحق بنوم الليل. وقال الضحاك: إنه التسبيح في الصلاة إذا قام إليها^(٥). الماوردي: وفي هذا التسبيح قولان:

أحدهما: وهو قوله سبحانه ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الأعلى في السجود. الثاني: أنه التوجه في الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك. قال ابن العربي^(٦): من قال: إنه التسبيح للصلاة فهذا أفضله، والآثار في ذلك كثيرة أعظمها ما ثبت عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي»^(٧). الحديث. وقد ذكرناه وغيره في آخر سورة «الأنعام»^(٨).

(١) تفسير البغوي (٧/ ٣٩٦).

(٢) صحيح: وقد سبق، عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: البخاري (١١٢٠) في التهجد، ومسلم (٧٦٩/ ١٩٩) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: البخاري (١٨٣) في الوضوء، ومسلم (٧٦٣/ ١٨١ - ١٩٣) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٥) سبق، وانظر: الماوردي في النكت والعيون (٥/ ٣٨٧).

(٦) أحكام القرآن (٤/ ١٧٣٣) للقاضي ابن العربي المالكي.

(٧) صحيح: مسلم (٧٧١/ ٢٠١، ٢٠٢) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٨) عند الآية (١٦٢).

وفي البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله علمني دعاء أدعوه به في صلاتي؛ فقال: « قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » (١).

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ تقدم في «ق» مستوفى عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [ق]. وأما ﴿إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فقال علي وابن عباس وجابر وأنس: يعني ركعتي الفجر (٢). فحمل بعض العلماء الآية على هذا القول على النذب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس. وعن الضحاك وابن زيد: أن قوله: ﴿إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري (٣).

وعن ابن عباس: أنه التسيب في آخر الصلوات (٤). ويكسر الهمزة في ﴿إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ قرأ السبعة على المصدر حسب ما بيناه في «ق».

وقرأ سالم بن أبي الجعد ومحمد بن السميع « وأدبار » بالفتح، ومثله روي عن يعقوب وسلام وأيوب؛ وهو جمع دبر ودبر الأمر ودبره آخره.

وروى الترمذي من حديث محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: « إدبار النجوم: الركعتان قبل الفجر، وإدبار السجود: الركعتان بعد المغرب » قال: حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب (٥). وسألت محمد بن إسماعيل عن محمد بن فضيل ورشدين بن كريب أيهما أوثق؟ فقال: ما أقربهما، ومحمد عندي أرجح. قال: وسألت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا فقال: ما أقربهما، ورشدين بن كريب أرجحهما عندي. قال الترمذي: والقول ما قال أبو محمد: ورشدين بن كريب عندي أرجح من محمد وأقدم، وقد أدرك رشدين ابن عباس ورآه. وفي «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح (٦).

وعنها عن النبي ﷺ قال: « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (٧).
تم تفسير سورة ﴿وَالطُّورِ﴾ والحمد لله .

(١) متفق عليه: البخاري (٧٣٨٧، ٧٣٨٨) في التوحيد، ومسلم (٤٨/٢٧٠٥) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، عن عبد الله بن عمرو، عن أبي بكر - رضي الله عنه .

(٢) (٣، ٢) انظر: تفسير الطبري (٤١/٢٧).

(٤) سبق عند الآية (٤٠) من سورة «ق».

(٥) ضعيف: وقد سبق .

(٦) متفق عليه: البخاري (١١٦٩) في التهجد، ومسلم (٧٢٤) في صلاة المسافرين وقصرها

(٧) صحيح: مسلم (٧٢٥) في صلاة المسافرين وقصرها